العرب
الإثنين 2020/03/16
السنة 42 العدد 11648

تنظيم القاعدة يحاول استثمار اتفاق طالبان مع واشنطن

رواية تعبوية مشتركة تجمع أعضاء طالبان والقاعدة وتنتشلهم من الانقسام

تباينت ردود الفعل لدى الفصائل الجهادية على اتفاق السلام التاريخي الموقع بين الولايات المتحدة وحركة طالبان الأفغانية، وبحث كل تيار جهادي عن الأسلوب الأمثل لتطويع الحدث صوب الاتجاه الذي يحقق مصلحته.

طالبان تحتفي باتفاق السلام وتنظيم القاعدة يغازل

هشام النجار
كاتب مصري

كان بيان تنظيم القاعدة المركزي بقيادة أيمن الظواهري، الصادر في 12 مارس بعنوان "إنا فتحنا لك فتحا مبينا"، أبرز التفاعلات الصادرة من التيارات الجهادية، حيث تضمن "تهنئة" لقيادة طالبان على الإنجاز العظيم، معتبرا التوصل إلى اتفاق سلام مع واشنطن نصرا تاريخيا لتنظيم القاعدة.

وضح من الصياغة الاحتفالية للبيان رغبة التنظيم في استثمار الحدث للمزاحمة في جني ثماره السياسية، اعتمادا على علاقته بطالبان، هادفا إلى رفع معنويات أعضاء القاعدة، ومحاولة استعادة الهيبة المفقودة لمركز التنظيم.

حرص الظواهري على توظيف التطورات في الساحة الأفغانية لجمع شتات تنظيمه المهلهل واستعادة الولاء والتبعية لفروعه مجددا صوب المركز، في ظل مؤشرات تعكس اكتساب الفروع في مناطق كثيرة من العالم مقدرة على الاستقلالية عن التنظيم الأم، علاوة على الضعف الطارئ على الظواهري بالمقارنة بقوة قادة العديد من الفروع إلى حد إعلان بعضهم التمرد عليه وفك الارتباط به.

> موقف القاعدة يخدم حركة طالبان عبر إظهارها كقوة فاعلة على الأرض، ما يضعف حجج الأجنحة المتشددة داخلها

حاول التنظيم المركزي للقاعدة تخفيض رواج التوقعات بشأن المستقبل المنتظر للتنظيم بعد الاتفاق، قاطعا الطريق أمام من يدفعون باتجاه سيناريوهات قطع الروابط الاستراتيجية والعشائرية التي تجمعه بطالبان، لأن الاتفاق يقضي بأن تقطع طالبان علاقتها بالقاعدة التي نشأت منذ تسعينات القرن الماضي، مقابل الانسحاب الأميركي من الأراضي الأفغانية.

تنفيذ جوهر الاتفاق وفق الرؤية الأميركية بالنظر للروابط العسكرية التي تجمع الكيانين، حيث يدرب القاعدة عناصر طالبان في العديد من الولايات الأفغانية، قد يفضي إلى مواجهات مسلحة بينهما لصعوبة قبول القاعدة بخسارة معسكرات التدريب وحرمانها من ملاذاتها الآمنة في الأراضي الأفغانية، علاوة على الروابط الأسرية التي تشكلت طوال السنوات الماضية.

علاقة متينة

لذا يحرص تنظيم القاعدة على إظهار متانة العلاقة التي تربطه بطالبان، عامدا إلى إعادة قراءة بنود اتفاق الدوحة وفق رؤيته، فهو لا يعتبره اتفاق سلام يشترط إقصاء التنظيم والتخلي عنه، إنما الانتصار والمؤازرة للقاعدة لحركة طالبان على الولايات المتحدة التي أُجبرت على الانسحاب من أفغانستان.

استحضر الظواهري اسم زعيم طالبان الأسبق الملا محمد عمر، كشاهد على أزهى مراحل العلاقة بين طالبان والقاعدة، فهو من رفض مطالب واشنطن بتسليم بن لادن وأعضاء تنظيمه، مذكرا بحديثه عن الوعد الإلهي للمجاهدين بـ"هزيمة أميركا".

سبقت بيان الظواهري مطالبة أبومحمد المقدسي، أحد أهم منظري القاعدة على حسابه على التليغرام، طالبان بعدم التخلي عن القاعدة ومحذرا من إلقاء السلاح واعتزال الجهاد، نافيا عدم علم الملا عمر بهجمات 11 سبتمبر 2001 قبل وقوعها.

عدم اكتراث القاعدة بشروط الطرف الأميركي تصاحبه مناورات من قبل حركة طالبان التي لم تحسم بشكل واضح مستقبل علاقتها بالقاعدة، في وقت تميل وفق تصريحات البعض من قادتها لسد المنافذ أمام حدوث انشقاقات كبيرة داخلها.

تخشى طالبان من انفصال باقي أجنحتها المتشددة عنها وهو ما يمنح تنظيم داعش في أفغانستان (ولاية خراسان) فرص التفوق عليها وتوسيع النفوذ وتكثير الأتباع على حسابها، إذا تعرضت العلاقة التي تجمعها بالقاعدة لهزة عنيفة من شأنها تقسيم الحالة الجهادية الأفغانية بين معسكرين، أحدهما متخاذل يقبل بالتنازلات والحلول الوسط، والآخر متمسك بالجهاد حتى النصر.

يخدم موقف القاعدة حركة طالبان عبر إظهارها كمنتصرة وكقوة فاعلة على الأرض وقادرة على قلب الأوضاع لصالحها والتعامل مع أي طرف لا يعترف بها مهما كانت قوته، ما يضعف حجج الأجنحة المتشددة داخلها، غير الراضية عن الاتفاق مع واشنطن والداعية إلى التمرد تمهيدا للالتحاق بداعش.

تنظر طالبان والقاعدة إلى انسحاب أميركا من أفغانستان كأمر واقع تحقق بقوة السلاح، وإلى اتفاق السلام كورقة تجميل للموقف الأميركي وحفظ ماء وجه الرئيس دونالد ترامب، ولا ينبني عليه تغيير وقائع على الأرض، في حين من الممكن استثماره بغرض التأسيس لرواية تعبوية تجمع شتات أعضاء طالبان والقاعدة وتنتشلهم من انقساماتهم.

«ملحمة» من التاريخ

يعكس ترويج القاعدة لتوافق ضمني مع طالبان، ملحمة جهادية شبيهة بالانتصار على الاتحاد السوفييتي السابق، وعدم خشية الجهاديين في طالبان والقاعدة من نكوص الأميركيين عن الاتفاق قبل بدء سريانه وفق البنود التي تقضي بانسحاب القوات الأميركية في غضون أربعة عشر شهرا من التوقيع.

على الرغم من أن الشرط المقابل كبند أساسي في بنود الاتفاق يقضي بتخلي طالبان عن رفقائها في القاعدة، إلا أن ما يحقق جوهر الهدف الأميركي، وألا تكون أفغانستان مستقبلا نقطة تحضير لهجمات إرهابية ضد المصالح الأميركية والغربية، هو احتواء طالبان للعدد الأكبر من الجهاديين، للحيلولة دون انحيازهم لداعش وللتنظيمات المنفلتة التي لا تكبلها اتفاقيات مع الطرف الأميركي.

نظر المفاوض الأميركي بواقعية إلى التطورات المستجدة على الساحة الأفغانية وفي مقدمتها تنامي نفوذ تنظيم داعش الذي يطمح إلى بسط السيطرة وكسب المزيد من الأراضي، لذا تتفهم واشنطن ضرورة أن يظل قادة طالبان مسنودين بأدواتهم التي تؤكد قوتهم على الأرض.

سارع فرع داعش في أفغانستان (ولاية خراسان) لإظهار ردة فعله على اتفاق طالبان وواشنطن عبر البيانات والأفعال، معلنا كفر طالبان وردتها، ومنفذا لعمليات عنف وتفجيرات في رسالة مختصرها أن الساحة الأفغانية خلت من جميع الجهاديين، وبقي تنظيم داعش بمفرده.

حرص داعش في أفغانستان على أن تكون طالبان ضمن أهدافه المشروعة داخل ما يقارب الخمس وعشرين ولاية من أصل خمس وثلاثين التي ينشط بها التنظيم بجانب أهدافه الأخرى، حيث نفذ العديد من العمليات التي راح ضحيتها عشرات القتلى من طالبان والمدنيين وقوات الأمن والطائفة الشيعية.

اقتضت المعادلة الأفغانية المعقدة أن تظل بعض التعهدات بالاتفاق حبرا على ورق، ومنها تعهد طالبان المكتوب بقطع العلاقة مع القاعدة، لأن بديل القاعدة في أفغانستان هو داعش الذي يسعى لأن يحل محله، لذلك تتسامح أميركا مع أهون الشرين لتكسب طالبان الصراع الداخلي وتحول دون انشقاق المتشددين عنها، وتمنع انزلاق البلاد إلى حرب أهلية.

سعت واشنطن إلى كسب طالبان وإنهاء الصراع لأسباب عديدة، منها ما يخص التنافس على كرسي الرئاسة في البيت الأبيض، ومنها ما يتعلق بالصراع الاستراتيجي مع كل من إيران وروسيا والصين، وهو ما يدفعها إلى عدم التدقيق في المسميات والتفريق بين الحركة والتنظيم، إذا ما نجح مفاوضها الأفغاني حاضرا ومستقبلا في السيطرة على الأوضاع ومحققا جوهر المطالب الأميركية.

في هذا الإطار يمكن تفسير وفهم معنى احتفاء تنظيم القاعدة الأم بالاتفاق، رغم الجدل المثار حوله داخل الأوساط الجهادية وندرة تفاعله مع أحداث مهمة تخص فروعه خلال الفترة الماضية، حيث تدشن فروع التنظيم على مختلف المحاور تجارب محلية مستقلة عن مركزه الذي لم يتبق له سوى طالبان، ومرجح أن يخضع لها لاحقا وفق شروطها.

يدرك تنظيم القاعدة أنه الخاسر الأول إذا استسلم لمصيره ولم يتحل ببعض البراغماتية التي تمكنه من اقتناص فرصة غالية كشريك مجددا لحركة طالبان في السلطة، بعد عودتها بقوة كطرف أساسي على الساحة الأفغانية باعتراف دولي.

مالي.. النزاعات القبلية تمهد طريق المتشددين

تشهد منطقة وسط مالي حالة من تدهور الأمن وانتشار العنف، في ظل عجز الدولة عن بسط سلطتها على المنطقة، وفي ظل تداخل أعمال العنف القبلي مع الأعمال الإرهابية التي تنفذها مجموعات جهادية لعبت على وتر الانقسامات المحلية والصراع القبلي على الأراضي، وتوصلت إلى بسط نفوذها على المنطقة.

موبتي (مالي) – "كل يوم نواجه حادثة بالغة الخطورة، وكل منها تأتي بالمزيد من النازحين"، يقول بمرارة مامادو لمين ديوب، أحد مسؤولي منظمة الأمم المتحدة في وسط مالي.

تغرق هذه المنطقة في دوامة عنف منذ خمس سنوات، ويعدّ مامادو لمين ديوب الذي يدير مكتب مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين هناك، في موقع يسمح له باختصار المشهد قائلا إنّه "آخذ بالتفاقم".

ولطالما بقي وسط مالي بمنأى نسبيا عن حركات التمرد الانفصالية في شمال البلاد. ولكن بعد اندلاع الأزمة في العام 2012 على إثر هجمات متمردين طوارق متحالفين مع جماعات جهادية متطرفة، فإنّها لم تستثن المساحات الصحراوية الشمالية الواسعة.

فاتخذت على إثر ذلك جماعات مسلحة، ينتمي بعضها إلى الفصائل الجهادية، موطئ قدم في الوسط بمحيط مدينة موبتي غير البعيدة من الحدود مع بوركينا فاسو أو مع موريتانيا. ونمت هذه الجماعات هناك في ظل النزاعات القديمة المرتبطة بالسيطرة على الأرض الخصبة والمتنازع عليها، بين مربي المواشي والمزارعين، فضلا عن نزاعات ذات طابع إثني، وأخرى داخل المكوّنات نفسها التي تتشكل منها المنطقة.

واستفادت الجماعات الإرهابية على وجه الخصوص من الشعور المتجذر محليا بإهمال الدولة، وطرحت خطابا دينيا، ولكن أيضا اجتماعيا واقتصاديا، على المجموعات السكانية التي تعاني غالبا من الفقر. كما أنّها وفّرت الحماية لمجموعات ضد أخرى وجندت رجالا على خلفية الاقتناعات الدينية أو مجرد الانتهازية.

ومنذ عام 2015، صارت المنطقة مسرحا لفظاعات شتى: هجمات على الحضور القليل المتبقي للدولة، مذابح قروية، تصفية حسابات وأعمال وحشية. واتخذت أعمال العنف طابعا مجتمعيا متصاعدا، خصوصا بين الفولانيين والدوغون. وتشكلت على إثر ذلك ميليشيات للأمن الذاتي.

وتنشر مجموعة موالية لتنظيم القاعدة، يقودها فولاني يدعى أمادو كوفا، الرعب في المنطقة. كما تتهم ميليشيا دان آن بسوغو التي نشأت تحت شعار الدفاع عن مكوّن الدوغون، بارتكاب فظائع.

تكاد لا تمر أيام قليلة من دون تسجيل هجمات. وأفرغت أعمال العنف الأهلية عشرات القرى الفولانية، خصوصا قرب الحدود مع بوركينا فاسو. وقال ناشط في مجال العمل الإنساني لفرانس برس طالبا عدم ذكر اسمه، "إنّها قرى أشباح بعدما خلت إلا من الأكواخ. الجميع رحل".

ونتيجة ذلك، صارت مدينتا موبتي وسيفاريه تزدحمان بالسكان. فمن أصل نحو 200 ألف شخص نزحوا جراء النزاع في مالي، اتجه نصفهم تقريبا نحو الوسط. ويقول ديوب "قبل أن تتمكن من إطفاء حريق، يندلع آخر".

بوريما باري (56 عاما) أحد هؤلاء النازحين بعدما فرّ من قريته الواقعة على بعد كيلومترات قليلة من بلدة باندياغارا، آملا بالعودة إليها يوما ما من دون خشية الأعمال الانتقامية.

ويروي بينما يجلس تحت خيمة ضمن مخيم أقيم للنازحين في ملعب كرة قدم في سيفاريه، "في قريتنا، كنا أول من فرّ في أبريل 2019، ولكن بعيد ذلك اضطر الجميع إلى الفرار". ويضيف "منذ نحو عام لم يتحسن الوضع البتة".

أزمة تتفاقم

ويوضح اليون تينيه، الخبير المستقل الذي أرسلته الأمم المتحدة إلى المنطقة في فبراير الماضي، أنّ "الحقيقة تكمن في أنّ لا الجيش المالي ولا بعثة الأمم إلى مالي بمقدورهما حماية المدنيين بالشكل المناسب".

ويقدّم الأحداث التي شهدتها بلدة أوغوساغو كدليل. فقد قتل هناك نحو 30 مدنيا في فبراير، بعد أقل من عام على مذبحة راح ضحيتها نحو 160 قرويا من الفولانيين، في وقت كان الجيش المالي والبعثة الأممية مدركين لخطورة التهديدات.

ويشير إلى أنّ "حصول هجوم جديد في أوغوساغو بعد عام، يعني أنّ حماية المدنيين غير متوفرة".

يواجه المدنيون الذين آثروا البقاء في ديارهم تهديد نقص الأغذية. وتشير الأمم المتحدة إلى أنّ انعدام الأمن الغذائي يطول نسبة شخصين من أصل خمسة في وسط مالي.

ويقرّ الحاكم الإقليمي عبدالله سيسيه بأنّ الوضع "مثير للقلق"، ولكنّه يتدارك أنّه "ليس مستعصيا على الحل". ويكشف التوصل إلى اتفاقات لمنع الأعمال العدائية على مستوى القرى.

ويوضح أنّه "مهما فعلنا، سنجلس (إلى طاولة مفاوضات) يوما ما. فلماذا إذا انتظار سقوط الآلاف من القتلى قبل العودة إلى المفاوضات؟ المشكلة ليست عسكرية فقط".

وكان الرئيس المالي إبراهيم أبوبكر كيتا أعاد فتح هذا النقاش، إذ أقرّ في فبراير بأنّ الحكومة سعت إلى فتح قنوات مع بعض الجهاديين الماليين، وبينهم أمادو كوفا.

وقال مصدر قريب من الحكومة "من الممكن التفاوض حول شيء ما مع أمادو كوفا"، مشيرا إلى "الرسوخ المحلي" للجماعة.

> الجماعات الإرهابية استفادت من الشعور المتجذر محليا بإهمال الدولة، وطرحت خطابا دينيا على المجموعات التي تعاني من الفقر

والأسبوع الماضي، أعربت الجماعة المرتبطة بتنظيم القاعدة التي ينتمي إليها كوفا عن انفتاحها على التفاوض، وإنّما شرط أن تسحب فرنسا والأمم المتحدة قواتهما من مالي.

وأسفرت أعمال العنف التي ينفذها الجهاديون، فضلا عن النزاعات بين المكونات المحلية، عن سقوط الآلاف من القتلى ومئات الآلاف من النازحين في مالي منذ 2012. وامتد هذا المشهد من وسط مالي إلى بوركينا فاسو والنيجر المحاذيتين.